الفصل الخامس
أهم مميزات تفسير الصحابة

يمتاز التفسير في عهد الصحابة بعدد من الميزات ، أهمها:

أولاً: لم يفسَّر القرآن جميعه ، وإنما فُسّر بعض منه ، وهو ما غمض فهمه ، وهذا الغموض كان يزداد كلما بَعُد الناس عن عصر النبي ﷺ والصحابة ، فكان التفسير يتزايد تبعاً لتزايد هذا الغموض ، إلىٰ أن تمّ تفسير آيات القرآن جميعها.

ثانياً: قلّة الاختلاف بينهم في فهم معانيه.

ثالثاً: كانوا كثيراً ما يكتفون بالمعنىٰ الإجمالي ، ولا يلزمون أنفسهم بتفهّم معانيه تفصيلاً ، فيكفي أن يفهموا من مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[1] أنه تعداد لنعم الله تعالىٰ علىٰ عباده.

رابعاً: الاقتصار علىٰ توضيح المعنىٰ اللغوي الذي فهموه بأخصر لفظ ، مثل قولهم في قول الله تعالىٰ: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾[2] ، أي: غير متعرّضٍ لمعصية ، فإن زادوا علىٰ ذلك فمما عرفوه من أسباب النزول.

خامساً: ندرة الاستنباط العلمي للأحكام الفقهية من الآيات القرآنية وعدم وجود الانتصار للمذاهب الدينية بما جاء في كتاب الله ، نظراً

---

(١) عبس: ٣١.

(٢) المائدة: ٣.

لاتحادهم في العقيدة ، ولأن الاختلاف المذهبي لم يقم إلا بعد عصر الصحابة رضي الله عنهم.

سادساً: لم يُدوّن شيء من التفسير في هذا العصر ، لأن التدوين لم يكن إلا في القرن الثاني للهجرة ، نعم أثبت بعض الصحابة بعض التفسير في مصاحفهم ، فظنها بعض المتأخرين من وجوه القرآن التي نزل بها من عند الله تعالى.

سابعاً: اتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث ، بل كان جزءاً منه وفرعاً من فروعه ، ولم يتخذ التفسير له شكلاً منظماً ، بل كانت هذه التفسيرات تُروىٰ منثورة لآيات متفرقة ، كما كان الشأن في رواية الحديث ، فحديث صلاة بجانب حديث جهاد ، بجانب حديث ميراث ، بحانب حديث في تفسير آية. . . وهكذا.

وليس لمعترض أن يعترض علينا بتفسير ابن عباس ، فإنه لا تصحّ نسبته إليه ، بل جمعه الفيروز آبادي ونسبه إليه ، معتمداً في ذلك علىٰ روايةٍ واهية ، هي رواية محمد بن مروان السدّي ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وهذه هي سلسلة الكذب كما قيل[1].

أجل!

وهذه الميّزات التي امتاز بها تفسير الصحابة جعل من تفسيرهم حجّة يجب الأخذ بها ، وفرّق العلماء بين أن يكون التفسير هو مجرّد آراء واجتهادات اجتهد بها بعض الصحابة ، وبين أن يكون نقلاً عن رسول الله ﷺ ودون اجتهاداتٍ منهم ، وما إلىٰ هنالك.

فإذا كان تفسير الصحابة مما يرجع إلىٰ أسباب النزول فحكمه حكم المرفوع ، أما ما يكون للرأي فيه مجال ولم يسنده الصحابي إلىٰ النبي صلوات الله عليه فحكمه حكم الموقوف ، كما قال ابن الصلاح: (وأما

---

(١) التفسير والمفسرون: ١/٩٨.

من قال: تفسير الصحابي مرفوع ، فذاك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية ، كقول جابر رضي الله عنه: كانت اليهود تقول: من أتىٰ امرأته من دبرها في قُبلها جاء الولد أحول!!

فأنزل الله تعالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[1] رواه مسلم ، أو نحوه مما لا يمكن أن يُؤخذ إلا عن النبي ﷺ ، ولا مدخل للرأي فيه ، وغيره موقوف ، وكذا يقال في التابعي إلا أن المرفوع من جهته مرسل)[2].

* * *

(١) البقرة: ٢٢٣

(٢) مقدمة ابن الصلاح: ١٢١.